

الحكومة الانجليزية وكفها مصهاضد الفقر

للاستاذ سلامة موسى

الفقر من الكوارث التي تناس حضارة الأمة بمقدار قدرتها على مكافحتها . إذ هو الأصل في كثير من الأمراض ، كما هو الأصل في الجريمة أو في معظم الجرائم . وكذلك هو الأصل في نفثي الجهل والامتلاء للخرافات .

وما دام في الأمة عدد كبير من الأسر الفقيرة فإن المرض يتوطن فيها ليجز هذه الأسر من النظافة ، وعن شراء الطعام المغذى ، وعن اقتناء اللباس الصحي ، وعن السكنى في منازل صحية . بل إن هذه الأسر لضعفها المسالى تتجمع في أحياء حقيرة فتكون منها بؤر للأمراض التي يعجز الجسم عن مقاومتها لأنه جائع واهن .

وهذا الفقر يؤدي إلى الجريمة ، لا لطلب القوت فقط ، وإن كانت هذا ليس بالأمر الصغير ، بل لأن حياة الفقير تنحلب بالفقر من كل مغزى . فهو محروم من المباح ومن المعرفة ومن المشاغل الحية المفيدة . وهو ضائق ببيئته وبنفسه ، وسرعان ما يلجأ الى العنف ان لم يكن ليسد حاجة هو محروم منها فلكي يهدئ أعصابه المتوترة من أثر الحرمان والفتيق .

وهذا الفقر سبب للجهل . لأن الذي يعجز عن شراء الحاجات الأولية من طعام أو لباس هو أعجز عن شراء الوسائل الثقافية سواء لنفسه أو لأبنائه . والفقير لا يبالي أن يشتغل ابنه صبيا أو شابا لأنه في حاجة إلى أن يكسب منه . وهو يعارض في تعليمه ويتهرب منه بغية استخدامه . فبيئة الفقر هي بيئة التمس والشقاء تنمو فيها الجريمة ويخو المرض والجهل . ولا حق لأمة أن تسمى نفسها متمدنة ما لم تكافح الفقر بكل ما في مقدورها .

والانجليز — أمة وحكومة — يكافون الفقر ويعملون من هذه المكافحة مذهباً يؤمن به الجميع ، وهم ينظرون إلى الفقر كما لو كان وباء يجب أن يحاط ويحصر وتبحث أسبابه وتعالج أصوله وأعراضه . والمحجود الذي يطالب من الأمة هنا عظيم جداً . فإن بيوت برناردو التي تؤوى المحرومين من الصبيان تنتشر في أنحاء البلاد كأنها إحات الرحمة والرفق بالخفولة . والمستشفيات التي يؤسسها القادرون من أفراد الشعب تفضل جميع داصعته الحكون الانجليزية نفسها . والنظام من

بين الفقراء أو من يخشون الفقر وهم على حافه في تأليف ما يسمى "جمعيات الصداقة" هو درس بالغ في مكافحة الفقر. ولست هنا بهدد مرد التبرعات العظيمة التي أرسلت للتبر في بريطانيا، فإن كثرتها تحول دون حصرها وعدها، ولكنني أقصر الحديث على ما تقوم به الحكومة الانجليزية في مكافحة الفقر. ففي عام ١٦٠١ أي منذ ٣٤٠ سنة تقريبا نجد البرلمان يسن قانونا اصطاح على تسميته "قانون الفقراء" ينص على أنه يجب على كل قرية أن تعنى بالمسنين والعجزة، وأن تعولهم وتؤويهم. كما يجب عليها أن تبذل العمل للقادرين عليه من الفقراء، وأن تعلم الصبيان بالحافهم بالصناعات المختلفة لكي يتعلموا ويكسبوا. ثم نجد بعد ذلك بسنوات أن هذا قد أثمر مؤسسة تسمى "بيت العمل Workhouse" في كل قرية أوحى من مدينة. ثم صار من حق كل انجليزي محروم أن يدخل هذا البيت حيث يستحم أولا ويغير ملابسه، ثم يعمل أى عمل تحتاج اليه القرية. ويتم الاجنئون إلى بيت العمل فئات من حيث الجنس والسن والفطرة على العمل أو العجز عنه. وأنشئت في كل قرية هيئة تسمى "الأوصياء على الفقراء Guardians of the Poor" تفرض الضرائب على السكان وتنفق منها على بيوت الفقراء التي تعتبر ملاجئ عامة، ولكن الشاب القادر كان يدخلها أيضا ويعمل بطعامه ومأواه لا ينقد بنسا على عمله. أما العاجز فلا يكلف بالطبع عملا.

وبيوت الفقراء هذه هي أول المؤسسات الاجتماعية المدنية للبر بالمحروم والمتعطل والعاجز، وقد قامت بخدمة الفقراء في انجلترا واسكتلندا أجل الخدمة، وخاصة في أوقات الشدائد والأزمات. فقبل نحو مائة سنة تقريبا أصابت الجزر البريطانية أزمة عاتية فشا فيها التعطل وضاق الناس بمعاشهم. وتبنت مجلات "بيوت الفقراء" في تلك السنين أن من كل ثمانية سكان في لندن كان واحد يعيش في هذه البيوت أو يتناول المساعدة الخارجية منها، وقد بقيت هذه البيوت حتى عهد قريب وهي وسيلة البر الوحيدة التي تقوم بها الدولة نحو فقرائها. ولكن حدث حوالي سنة ١٩١٠ أن شرع المستر لويدي جورج في الأخذ بأساليب التأمين الاجتماعي وأبتدأ بإيجاد معاشات الشيخوخة. ويراد بعبارة "التأمين الاجتماعي" مساعدة المسنين الذين يبلغون الستين أو الخامسة والستين ومساعدة المتعطلين والمرضى من العمال بمنحهم أجورا أسبوعية طول مدة التعطل أو المرض، وأيضا مساعدة العائلات الحوامل قليل الوضع وبعده. وقد سبق الشعب الانجليزي حكومته في هذه التأمينات المختلفة بما كان ولا يزال لديه من "جمعيات الصداقة Friendly Societies" وأيضا بما قامت به نقابات العمال. ونحن نذكر هنا ملخصا لأغراض هذه التأمينات :

١ — يمنح معاش الشيخوخة لمن بلغ الخامسة والستين من الجنسين. ولكن إذا كان أعمى فإنه يمنحه من سن الأربعين. ويتفاوت مقدار المعاش من شأن إلى نصف جنيه في الأسبوع. فإذا كان المسن يحصل على إيراد سنوي خاص لا يزيد على ٢٦ جنيها وه شلنات، فإنه

يعطى نصف جنيه معاشا أسبوعيا . وإذا كان لإيراده السنوى الخاص يبلغ نحو خمسين جنيها فان معاشه الأسبوعى لا يزيد على خمسة قروش ، فقيمة المعاش يحسب لتقديرها إيراد المسن الخاص . وهكذا كلما كثر الإيراد قل المعاش والعكس بالعكس . ومن هذا التقدير يمكن أن يقال إن الرجل المسن والمرأة المسنة قد ضمن لهما دخل (أى مجموع الإيراد الخاص والمعاش الحكومى) مقداره جنيه كل أسبوع على الأقل .

وبعض أقطار المستعمرات البريطانية المستقلة — مثل زيلندا الجديدة — تعطى هذا المعاش عند الستين . وهذا النظام قد جعل تسؤل المسنين الذى يرى فى كثير من أقطار العالم غير معروف بتاتا فى الجزر البريطانية . ولقد لوحظ منذ أن أخذت الحكومة البريطانية بهذا النظام أن قيمة "بيوت الفقراء" تضاءلت لأن تسعة أعشار الذين كانوا يعمرون هذه البيوت كانوا من المسنين .

٢ — وتأمين آخر هو التأمين ضد التعطل . وهو يعطى لكل حامل أو عاملة متعطلة يتراوح عمر كل منهما بين ١٤ و ٦٥ سنة . ويعطى أيضا لغير العمال من المستخدمين المتعطلين الذين كانت مرتباتهم تقل عن ٢٥٠ جنيه فى العام . ولكن الإعانة التى تؤدى عن التعطل يجب أن يسبقها اشتراك العامل مدة معينة من الزمن (وقت عمله بالطبع) فى دفع جزء من أجرته يضم إليها جزء آخر من صاحب المصنع ومن الحكومة ، ويتجمع من كل هؤلاء المال المرصود لإعانات التعطل ، ولكن ما يدفعه العامل ليس عظيما ، فان عامل الزراعة يؤدى ١٢ مليا فى الأسبوع . وعامل المصنع يؤدى ٣٦ مليا فى الأسبوع . هذا إذا كانت سن العامل أو العاملة تتراوح بين ٢١ و ٦٥ سنة . فاذا نقصت السن كان ما يطلب من العامل دفعه أقل . وعندما يأخذ العامل معاش الشيخوخة تنقطع عنه إعانة التعطل .

أما مقدار هذه الاعانة فيختلف أولا بين عامل الريف وعامل المدينة . لأن الثانى يأخذ أكثر من الأول . كما أنه يدفع أكثر منه فى وقت عمله ، ثم إن الرجل يأخذ أكثر من المرأة كما أنه فى وقت عمله يدفع أكثر منها . فالرجل فى الحادية والعشرين أو أكثر يحصل على إعانة قدرها ١٥ شلنا فى الأسبوع إذا كان يعمل فى الزراعة . وإعانة قدرها ١٧ شلنا إذا كان يعمل فى غير الزراعة . والمرأة فى الحادية والعشرين أو أكثر تحصل على ١٣ شلنا فى الأسبوع إذا كانت تعمل فى الزراعة أو ١٥ شلنا إذا كانت تعمل فى غير الزراعة . فاذا كان هؤلاء المتعطلون متزوجين حصلوا فوق ذلك على إعانة العيال وهى ٩ شلنات لكل بالغ و ٣ شلنات لكل طفل فى الزراعة و ١٠ شلنات لكل بالغ و ٣ شلنات لكل طفل فى غير الزراعة بشرط ألا يزيد ما يحصل عليه المتعطل وعياله على ٣٣ شلنا كل أسبوع أى نحو ١٦٠ قرشا لكل أسبوع . ولما تفاقمت الأزمة فيما بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣٣ كانت إعانات للمتعطلين عثا

ثقيلا . لأن هؤلاء المتعطلين كانوا يبلغون أحيانا ثلاثة أو أربعة ملايين متعطّل . ولكن الحرب الحاضرة بما احتاجت إليه من تنشيط الصناعات الحربية جعلت هذا العدد صغيرا .

٣ — ذكرنا الآن إعانة الشيخوخة وإعانة التعطل . والآن نذكر إعانة المرض : فالمستشفيات كثيرة جدا في الجزر البريطانية . ولكن إذا ذهب العامل إلى المستشفى فمن يعول أهله ؟ أو قد يحتاج هو إلى العلاج دون أن يضطر إلى ترك منزله . فهو مريض متعطّل عليه أن يعول نفسه وزوجته وأولاده . والتأمين الصحي هو من أعظم المخترعات الاجتماعية في بريطانيا ، لأنه كفاح للرض والفقر وما يجلبانه على المصاب بهما من ألوان الشقاء ، والعامل الذي يؤمن نفسه من المرض يجب أن يدفع كل أسبوع ٨ مليات ، يدفع مثلها صاحب العمل . فإذا كانت سنة دون السادسة عشرة لم يدفع سوى ستة مليات يدفع مثلها صاحب العمل إلى أن يتجاوز هذه السن . أما ما يجنيه العامل أو العاملة من هذا التأمين فهو :

١ — إذا كان المدفوع يزيد على ٢٦ دفعة ويقل عن ١٠٤ دفعات أسبوعية يحصل العامل وقت المرض على ٩ شلنات في الأسبوع ، والعاملة ٧ شلنات ونصف شلن . وإذا كان المدفوع يزيد على ١٠٤ دفعات أسبوعية يحصل العامل وقت المرض على ١٥ شلنا والعاملة على ١٢ شلنا في الأسبوع .

٢ — إذا كان العامل مؤمنا ولكن زوجته ليست مؤمنة حصل لزوجته وقت الوضع على جنينين . فإذا كانت الزوجة مؤمنة أيضا صار المبلغ أربعة جنينيات .

٣ — يصلح العامل طول مدة مرضه بالمجان على يد الطبيب الذي يختاره هو من قائمة تحتوي عددا كبيرا من أطباء التأمين .

٤ — إذا مات العامل المؤمن حصلت أرملته على ١٠ شلنات كل أسبوع . وعلى ٥ شلنات للولد الأول و ٣ شلنات لكل ولد يليه دون الرابعة عشرة بشرط ألا يقل عدد دفعاته الأسبوعية عن ١٠٤ .

هذه هي أنواع التأمين ضد الشيخوخة والتعطل والمرض . وكلمة المرض هنا ينطوى التأمين فيها على تأمين الزوجة والأولاد بعد وفاة العامل .

ومن هذه الخلاصة تتضح لنا الطريقة التي تكافح بها الحكومة البريطانية الفقر ، إذ متى أمن الانسان الحرمان الذي ينشأ من الشيخوخة أو المرض أو التعطل أو الوفاة فقد أمن الفقر . وما ينفق على هذه التأمينات يبلغ بضع مئات من الملايين من الجنينيات . فمن أين تأتي بها الحكومة البريطانية ؟

قبل كل شيء يجب أن نذكر أن الأمة الانجليزية أمة صناعية قد توغل فيها النظام الصناعي . وجميع الأمم الصناعية أمم غنية . وحسبنا أن نعرف أن ميزانية الحكومة البريطانية

لا تقل في أيام السلم عن ٧٠٠ أو ٨٠٠ مليون جنيه . والحكومة تجمع هذا المبلغ من ضرائب مختلفة ، ربما كان أهمها ضريبة الدخل التي تبلغ نحو ٤٠٠ مليون جنيه . وهذه الضرائب خفيفة على أصحاب الدخل الصغير ، ثقيلة على أصحاب الدخل الكبير . فمن كان دخله ٢٠٠ جنيه في السنة يكاد لا يدفع شيئا من الضرائب ، فإذا كان ١٥٠ ألف جنيه دفع ضريبة قدرها ١٢٠ ألفا ، ولم يبق له من دخله سوى ثلاثين ألفا . وبين هذين المبلغين تتدرج الضريبة كما أنها تختلف بين الأغرب والمتروج ومن له أولاد ومن ليس له أولاد . والحكومة البريطانية هي التي اخترعت هذه الضريبة منذ أيام الحروب البالدونية أي قبل نحو ١٣٠ سنة .

والبيئة الصناعية هي التي أوجدت هذه التأمينات لمكافحة الفقر . فقد بقيت الحكومة البريطانية قانعة بما يسمى "بيوت الفقراء" أكثر من ٣٠٠ سنة أي منذ ١٦٠١ إلى حوالي ١٩١٠ ، ولكنها عندما رأت التعطل يزداد بحكم البيئة الصناعية الجديدة أخذت في اصطلاح هذه الأنظمة التأمينية . ذلك أن النظام الصناعي يفاجئ الأمم بنوبات من الرواج والكساد . وإنتاج المصالح يزداد أحيانا على حاجة الأسواق ، أي يزيد على قدرة الجمهور في الاستهلاك فتضطر المصانع إلى إقفال أبوابها بضمة أسابيع أو أشهر يتعطل فيها العمال . وليس العامل مشهورا بتبصره حتى نتظر منه التدبير والإدخار للتقبل . وقد كانت النباتات تقوم بشيء من هذه التأمينات كما كانت تفعل مثل ذلك "جميعات الصداقة" ولكن الحكومات المتقدمة رأت أن الأمن العام والأمنانية الاجتماعية يطالبانها بتأمين العمال فأكرت أصحاب العمل سواء أكان هذا العمل زراعي أم صناعي على الاشتراك في ذلك التأمين . وقد ذكرنا هنا مثلا مما تفعله الحكومة البريطانية ، ولكن قل أن تخلص أمة متقدمة من مثل هذا التأمين ، وخاصة إذا كانت أمة صناعية تعتمد في معاشها على نشاط المصانع . ولكن البيئة الزراعية - وخاصة حيث تدير الزراعة على أساليبها القديمة بدون الاعتماد على الآلات البخارية أو التي تدار بالمحركات الكهربائية - لا تحدث في الأمة تلك المفاجآت التي تراها في الأمم الصناعية .

والعالم في عصرنا الحاضر يكان ينقسم الى قسمين أحدهما مؤلف من الأمم الزراعية الفقيرة الضعيفة ، والآخر مؤلف من الأمم الصناعية الغنية القوية .

والأمم الزراعية مطمئنة بل تكاد تكون راكدة في اطمئنانها وفقرها . في حين أن الأمم الصناعية مع غناها وقوتها تعيش في خطر ، خطر التعطل والمرض والشيخوخة وإذا كان التأمين يعد من الكماليات أو المثاليات عند الأمم الزراعية فإنه ضرورة حتمية للأمم الصناعية . ولذلك لا نستطيع أن نصف هذه التأمينات المختلفة في مثل بريطانيا أو غيرها من الأمم الصناعية بأنها بر وإحسان ، لأن الواقع أنها جميعا نظام حتمته ظروف البيئة الصناعية .

سلامه موسى